مفهوم الثورة والتمرد ضد السلطة الحاكمة في بلاد النهرين

أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي م.م. ريم احسان علي
جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية
م.م. ريا نصيف جاسم
جامعة المستقبل/ كلية الآداب والعلوم الانسانية

The concept of revolution and rebellion against the ruling authority in Mesopotamia

Prof. Dr. Qais Hatim Hani Al-Janabi Asst. Lec. Reem Ihsan Ali
College of Basic Education\ University of Babylon
Asst. Lec. Raya Nasif Jasim
Almustaqbal University
basic.qais.hatem@uobabylon.edu.iq

Abstract

The Mesopotamian civilization is considered one of the oldest civilizations that established a complex political and social thought, which was evident in the structure of power and the relationship between it and society, and the complex concepts of obedience, rebellion, and revolution that accompanied this relationship. Despite the pragmatic nature that the concept of authority took in Mesopotamia, the phenomenon of revolution and rebellion against the ruling authority was present in the collective consciousness, not only as a breach of the system, but as a social and religious position that reflects the struggle of popular or elite will. With the existing system.

Keywords: revolution, rebellion, king, priests, ruling power, Mesopotamia.

الملخص

تُعدّ حضارة بلاد النهرين من أقدم الحضارات التي أسّست لفكرٍ سياسي واجتماعي مركّب، تجلى في بنية السلطة والعلاقة بينها وبين المجتمع، وما رافق هذه العلاقة من مفاهيم معقدة من الطاعة والتمرد والثورة، وبالرغم من الطابع البراغماتي الذي اتخذه مفهوم السلطة في بلاد النهرين، فإن ظاهرة الثورة والتمرد ضد السلطة الحاكمة كانت حاضرة في الوعي الجمعي، ليس بوصفها خرقًا للنظام فحسب، بل كموقف اجتماعي وديني يعكس صراع الإرادة الشعبية أو النخبوية مع النظام القائم.

الكلمات المفتاحية: الثورة، التمرد، الملك، الكهنة، السلطة الحاكمة، بلاد النهرين.

المقدمة

تعد دراسة مفهوم ظاهرتي الثورة والتمرد ضد السلطة الحاكمة في بلاد النهرين تحديًا منهجيًا كبيرًا، وذلك لسببين رئيسين: أولاً، ندرة المصادر التي كتبها المتمردون أنفسهم، اذ أن معظم النصوص وصلتنا من الأرشيفات الملكية والمعابد التي تمثل وجهة نظر السلطة فقط، ثانياً، الطبيعة الإلهية للسلطة التي جعلت أي تحدٍ لها يمثل

انتهاكاً للنظام الكوني وليس مجرد معارضة سياسية، وان تناول موضوع مفهوم الثورة والتمرد في بلاد النهرين دراسة مهمة لفهم الأسس الفكرية والاجتماعية والسياسية التي قامت عليها الدولة، ولتتبع كيف نظر الإنسان النهريني إلى مفهومي الثورة والتمرد: هل كانتا فعلًا مشروعًا؟ أم خروجًا مرفوضًا عن الإرادة الإلهية؟ وكيف انعكست هذه الرؤية على الأدب والنقوش والنصوص القانونية؟ ويهدف هذا البحث الى توضيح معنى الثورة والتمرد ومضمونهما في الفكر الديني، كذلك يتناول خصائص الثورة والتمرد ومظاهرهما، فضلاً عن تناول أهم الثورات والتمردات التي حدثت فعليًا ضد السلطة الحاكمة في بلاد النهرين، مستعرضًا أبرز الأمثلة التاريخية الموثقة للنزاعات والتمردات والثورات، اذ يحلل هذا البحث المفارقة التاريخية في حضارات بلاد النهرين من ازدياد حالات التمرد والعصيان المحلي مع انعدام ثورات شاملة تطيح بالنظام السياسي القائم، كما يركز البحث على العوامل الدينية والاجتماعية والهيكلية التي حوّلت الاحتجاج من حركة ثورية محتملة إلى ظاهرة "تصحيحية" جزئية، تهدف لإصلاح النظام لا إسقاطه، وقد كان كتاب (الفكر السياسي في العراق القديم) للدكتور عبد الرضا الطعان المصدر الاساس لأغلب الفقرات الواردة في هذا البحث، لكونهُ الكتاب الوحيد الذي عالج مفهوم الثورة بصورة عميقة وموضوعية مستندة الى النصوص المسمارية المختلفة ومتسلسلا حسب الادوار التاريخية.

اولاً: معنى الثورة Revolution والتمرد Rebellion ومضمونهما في الفكر الديني

1- الثورة لغة واصطلاحاً:

مصطلح "الثورة" له جذور قديمة نسبيًا، ولم يكتسب معناه الحديث إلا تدريجيًا، تعود أصول استخدام كلمة "ثورة" إلى الفكر اللاتيني، اذ كان العالم الفلكي بوليبيوس أول من صاغ المصطلح Revolution، لاحقًا، ازدادت أهمية هذا المفهوم عندما استخدمه العالم كوبرنيكوس لوصف الحركة الدائرية المنتظمة للنجوم حول الشمس، والتي تتم دون تدخل الإنسان أو سيطرته، مما يجعلها حركة لا يمكن مقاومتها، لم تكن هذه الحركة جديدة أو عنيفة، بل تميزت بالتكرار والدائرية المستمرة[١].

ويقصد بالثورة في اللغة العربية الاضطراب والهيجان، ويقال (ثور) فلان الشر (تثويراً) اي هيجه واظهره[٢]، ويقال أثر الشيء أي أقامه وهيجه ودفعه إلى الحركة أو أظهره وبينه حيث يقال آثار الطير أي هيجه وجعله يطير من مكانه ويقول أثرت الكنز أي كشف سره وأظهره بعد أن كان خافياً[٣]، ويتوضح مما سبق انه على الرغم من تعدد مصطلح الثورة في اللغة العربية الا انها اجتمعت لتعرفها على انها نوع من الهيجان والانتشار.

اما مفهوم الثورة اصطلاحاً فهو يعني الخروج عن الوضع الراهن وتغييره باندفاع يحركه عدم الرضا او التطلع إلى الافضل، والثورة تدرس على انها ظاهرة اجتماعية تقوم بها فئة او جماعة ما هدفها التغيير وفقاً لأيدولوجية هذه الفئة أو الجماعة، ولا ترتبط بشرعية قانونية، كما تعبر عن انتقال السلطة من الطبقة الحاكمة إلى طبقة الثوار، والمفهوم الدارج للثورة هو الانتفاض ضد الحكم الظالم[٤].

٢- التمرد لغة واصطلاحاً:

مصطلح "التمرد" لغة بمعنى عصى وخرج عن الطاعة، ومصطلح "المتمرد" يأتي بمعنى المتعنت والعاصي[٥]، بينما اصطلاحاً فيشير التمرد الى رفض علني ومنظم لسلطة قائمة (دولة، نظام حكم، قوة احتلال) عبر وسائل عنيفة أو غير عنيفة، بهدف تغيير سياساتها أو تقويض شرعيتها أو الاستقلال عنها، دون بالضرورة تغيير النظام الاجتماعي برمته[٦]، نستنتج مما سبق أن التمرد أضيق نطاقاً من الثورة، وغالباً ما يكون رد فعل على ظرف طارئ أو مطلب محدد، ويمكن أن يكون مرحلة أولية تتحول إلى ثورة إذا توسعت أهدافها وقاعدتها الشعبية.

اما فيما يخص مضمون مفهومي الثورة والتمرد فقد تجلت باكورة الثورات الفكرية في بلاد النهرين بمحاولة الأنسان قلب المفاهيم السائدة التي فرضت قسراً عليه، والتي عُدت خطأً أحمر لا يجوز المساس به كونه قدراً فرضته الآلهة على بني البشر، كما يتضح ذلك في معظم التراتيل الدينية منها: "**إن حكمة الآلهة مثل البحر العميق لا يمكن سبر أغوارهُ لنيات وغايات في دواخلها يصعب على البشر أدراك المغزى منه**"، أن مثل هذه الأفكار رغم أطارها الفلسفي الديني، ألا أنها في الحقيقة تخفي بين ثناياها أغراضاً سياسية واضحة سعت اليها الزعامات الدينية القبلية التي تولت تسيير الشؤون العامة للتجمعات القروية البدائية، وفيما بعد عند أدارتها المدن الأولى في بداية نشأتها لتطبعها بطابع ديني متزمت من أجل السيطرة على مجتمعاتهم الصغيرة عبر احتواء عقول الناس وتكتيفها بذلك القيد الفكري بعد أن أضفي على هذا الدهاء السياسي صبغة دينية مانحين الدين طابعاً سياسياً، فتمثلت تلك الثورات بمحاولات التحرر من ذلك الاحتكار الفكري الذي استحوذت المؤسسة الدينية وجعلته في منأى عن عقول عموم الناس المتقوقعين ضمن أطارهم الضيق في مجتمعاتهم الزراعية وانتماءاتهم العائلية[٧].

ويتضح ما سبق أن الطاعة التي كانت تقدم على مستوى دوائر السلطة الإلهية المختلفة كان يحكمها في وجودها مبرر أساس هو المقابل الذي يتم الحصول عليه نظير الطاعة التي تقدم لها والذي نراه هو نفس المبرر الذي يحكم الطاعة التي يقدمها الناس على مستوى دوائر السلطة البشرية بما فيها دوائر السلطة السياسية، فالناس يقدمون الطاعة للملك على أمل أن يقوم هذا بتحقيق ما يصبون إليه من خير، إن هذا يفسر تمسك الملوك بأقران حكمهم بهدف أساس هو تحقيق الخير للناس، إن هذا المنطق البرغماتي[٨] الذي يحكم الطاعة سيحكم إلى حد كبير الثورة عند النهريني القديم[٩].

وكان الملك المفوض إلهياً لحكم البلاد وإدارة شؤونها نيابة عن الآلهة، يرى أن لا أحد يحق له التمرد أو الثورة ضده، ولكن هذا الاتكال على الدين لم يمنع النهريني من التمرد أو الثورة ضد السلطة في أحيان كثيرة ولأسباب مختلفة، وهنا نجد أن كل طرف يدعي أنه صاحب الحق وأن الآلهة تقف إلى جانبه، فالملك هو المختار والمفوض من الآلهة ومعارضته تعني معارضة إرادة الآلهة، أما الطرف الآخر فقد وجد أن أفضل طريقة يمكنه فيها مواجهة السلطة المستندة على الدين لنزع الشرعية والتأييد الشعبي عنها، هو الاستناد الى الدين أيضاً الذي

برر التمرد أو الثورة ضد السلطة السياسية في حالة تقاعسها عن تنفيذ أوامر الآلهة، أو مخالفتها لتلك الأوامر التي تقضي بتحقيق كل ما هو في صالح الشعب، وربما يكون الكهنة هم الذين جاءوا بهذه الفكرة ليبقوا الملك تحت سيطرة المؤسسة الدينية(١٠).

لذلك سمح الفكر النهريني بالثورة ومواجهة الظلم، لكن ليس قبل أن يتحقق الانتقام الإلهي من شخص الملك الظالم وفقدان الملك حصانتهُ الإلهية، ولابد من الاشارة هنا إلى أن الملك المستبد لابد أن يمتلك مقداراً من القوة يستطيع من خلالها اخضاع الشعب لسطوته، وهذا يعني أن مفسري إرادة الآلهة كانوا في أغلب الأحيان تحت سيطرته، وعندها لن يُرفع الغضب الإلهي إلا عندما يُغير الحاكم المستبد من سياسته أو انتهاء سلطته لسبب من الأسباب، بما فيها الثورة، وليس بمشيئة الآلهة، لهذا فالتبرير الفكري القائل أن الآلهة تختار الملك بهدف الانتقام هو في صالح السلطة المستبدة بلا شك، أما نتائجه السلبية فتقع على كاهل الشعب(١١).

إذن ففي الجانب النظري لا يجوز التمرد ضد السلطة السياسية إلا حين تفقد شرعيتها بتخلي الآلهة عنها، أما في الجانب العملي فبالتأكيد، لم يمنع هذا القول من وقوع المشاكل بين الملوك ومعارضيهم الراغبين بتصحيح تلك الأوضاع غير الطبيعية المتمثلة بالظلم الذي يُمارسه الحاكم ضد شعبه، أو حتى الطامعين بالسلطة لكن حتى هؤلاء كانوا يتعكزون على الدين لتحقيق أهدافهم(١٢).

ثانياً: خصائص مفهومي الثورة والتمرد في نصوص بلاد النهرين

١- النصوص الاسطورية والنصوص الادبية:

إن ما لدينا من نماذج من الأدب السومري ومن أساطير وملاحم وأشعار يعزز فكرة ان الثورة والتمرد خاصية تقتصر على الفعل الإلهي ولعل الصورة الأكثر وضوحاً لهذين المفهومين هي ثورة الآلهة (الايكيكي) ضد الآلهة العظام، فالآلهة العظام عندما خلقت الكون اقتسمت فيما بينها الوظائف والمناصب العظمى، بينما تركت للآلهة (الايكيكي) مهمة اعمار الأرض، لقد أخذت هذه الآلهة الأخيرة تشكو وتتذمر من مشقة العمل الذي فرضته عليها الآلهة العظام، بهذا الشكل تتجلى ثورة الآلهة ضمن دائرتها الخاصة بها، ولكن الملاحظ بصورة عامة أن هذه الثورة، وهي تتم ضمن الدائرة الخاصة بالآلهة (١٣).

كما يمكن الاستدلال على خصائص مفهومي الثورة والتمرد عبر النصوص المستمدة من ادب المناظرات، اذ تبين لها هذه النصوص ان مفهومي الثورة والتمرد في فكر النهريني هو ذو طبيعية توفيقية، ففي (أسطورة الغلة والماشية) نرى الصراع بين (اشنان) آلهة الغلة و(لهار) آلهة الماشية، الذي دب على أثر خلاف بينهما في مجلس شرب، سرعان ما يحسم عن طريق تدخل الإلهين (انليل) و(انكي) قبل أن يصل هذا الصراع إلى درجته الحرجة(١٤)، وفي (ملحمة كلكامش) نلاحظ أن الصراع بين هذا البطل و(انكيدو) هو الآخر ينتهي بحل توفيقي من شأنه أن يضع حداً لكل امكانية لتصاعده(١٥)، فقد جاء في وصف هذا الصراع ما يؤكد هذه الخلاصة:

"رأى (كلكامش) (انكيدو) الهائج

الذي ولد في البادية ويجلل رأسه الشعر الطويل
فانقض عليه وهاجمه
تلاقيا في موضع سوق البلاد
سد (انكيدو) باب «البيت» بقدميه
ومنع (كلكامش) من الدخول إلى الفراش
أمسك أحدهما بالآخر وهما متمرسان (بالصراع)
وتصارعا وخارا خوار ثورين وحشيين

ولكن هذا الصراع سرعان ما يحسم:

"حينما انثنى (كلكامش) وقدمه ثابتة في الأرض ليرفع (انكيدو)
هدأت ثورة غضبه واستدار ليمضي" (١٦).

ويحسم في الأخير هذا الصراع بتراضي الطرفين بقدر ما اعترف كل واحد بقوة الآخر، واضاف الدكتور (عبد الرضا الطعان) قائلاً: "**إن الإنسان العراقي القديم وهو يجد نفسه أمام قطبي العلاقة الجدلية هذه كان يجد نفسه محكوماً بأزمة لم يكن بالإمكان الخروج منها إلا باللجوء إلى التوفيق، فالثورة التي يقوم بها تعبيراً عن التباين الاجتماعي لا يمكن أن تقود إلى تجاوز وحدة الدولة – المشترك التي ينتمي إليها، فليس أمامه إلا إخضاع الثورة لمتطلباتها، وهذا بالضبط ما يضفي على الثورة طابعاً توفيقياً**"(١٧).

٢- النصوص الملكية والوثائق الإدارية:

يتضح لنا من هذه النصوص خاصية اخرى مهمة لمفهومي الثورة والتمرد الا وهي صفة الاعتدال أي أن الثورة لن تستهدف أكثر من اعادة التوافق ما بين السلطة السياسية والطابع المقدس الذي ينبغي أن تتسم به، عبر دفع السلطة السياسية الى الاضطلاع بمهامها الاقتصادية التكنيكية بالشكل اللازم، فالعاهل (اورو انميكينا) كان قد حرص على أن يبرز بناء قنوات الري وخزانات المياه من قبلهُ، كواقعة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعلاقة القائمة بينه وبين الآلهة، وفي مثل هذه الحالة نلاحظ أن الوظيفة الاقتصادية التكنيكية، كانت تستخدم من قبل العاهل من أجل تأكيد التعاطف الذي يربطه بالآلهة من أجل زيادة سلطته(١٨)، بالتالي إن المعطية الاقتصادية التكنيكية التي كانت تشكل الأساس الذي يقوم عليه البناء الاجتماعي في بلاد النهرين كانت تمثل حجر الزاوية في العلاقة الجيدة ما بين العاهل والآلهة، والذي يترتب على هذا هو أن الإنسان النهريني القديم كان قد وجد أن رخاءه المادي مرتبط بالسلطة السياسية المقدسة، فهو بالتالي، هبة من هباتها، وهكذا فإن هذا الإنسان كان يبدو مديناً لهذه السلطة السياسية في تمتعه بهذا الرخاء، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الامتيازات التي تتمتع بها السلطة السياسية كانت تمثل في الجوهر امتيازات ذات طبيعة وظيفية، بمعنى أن التمتع بها يشكل شرطاً لقيامها بضمان الري وفتح القنوات وبناء الخزانات، واذ حدث انفصال ما بين السلطة السياسية والطابع المقدس الذي ينبغي ان

تتسم به فان الثورة سوف لن تستهدف الا السلطة السياسية، وان التغيير الذي تتطلع اليه سوف لن يتجاوز البناء الفوقي[١٩].

وعند تعداد فوائد الفأس لم يتردد النهريني القديم عن الاشارة إلى أنها تبني المدن وتبني الدار الثابتة الأركان التي سببت الازدهار، كما لم يتردد عن الاشارة إلى أن هذه الدار كانت قد ثارت ضد الملك فاستخدم هذا الفأس لضمان استسلامها:

"الدار التي ثارت ضد الملك

الدار التي لا تستسلم لملكها

الفأس يجعلها تستسلم للملك"

اذ أن الفكر النهريني القديم وهو يتحدث عن الفأس لم يتردد عن الاشارة إلى أنها عبر الثورة **(تسقط على التاج)**، كما يمكن ان نجد في النصوص الادبية النهرينية تمجيداً للثورة، عندما جعل من الثورة الصفة التي تتميز بها شخصية الإنسان والوسيلة التي يتحقق بموجبها هويتهُ ورفاهه المادي، ففي حوار بين سيد وخادمه يقول السيد:

"لقد قررت الثورة"

فيجيبه الخادم:

"افعل يا سيدي افعل، إن لم تبدأ الثورة فماذا يبقى من صفاتك؟ من سيعطيك شيئاً تسد به جوعك"[٢٠].

٣- التشريعات الاصلاحية والنصوص القانونية:

يؤكد الدكتور (عبد الرضا الطعان) ان أغلب الملوك الذي كانوا قد لجأوا الى وضع الشرائع شاءوا أن يجعلوا منها استجابات للثورات والتمردات على المستوى العيني، وهذا يتأكد إذا ما علمنا بأن أغلب الشرائع كانت توضع في أعقاب ثورات وتمردات من نوع ما أو آخر، فوثيقة الاصلاح التي وضعها (اوروانميكينا) تمثل بلا شك وثيقة قانونية بقدر ما تتضمن قواعد مبطلة لقواعد كانت قائمة من قبل، وقد أكد الدكتور (فوزي رشيد) فوق هذا قائلاً: **"وإضافة إلى ذلك فإن كتابات الملك السومري (اوروانميكينا) قد ذكرت لنا بأنه قد قنن القواعد التي وفرت للشعب الحرية والعدالة الاجتماعية"** ولكن هذه القواعد القانونية لم توضع إلا استجابة للثورة التي كان قد قادها هذا العاهل ضد (لوكالاندا)[٢١]، وهذا يصدق كذلك بالنسبة لشريعة (اور- نمو) فالمعلومات المتوفرة لدينا عن تاريخ بلاد النهرين تشير إلى أن الذين حكموها قبل مجيء الملك (اور- نمو) إلى الحكم هم (الكوتيون)، وهؤلاء هم قبائل جبلية لا تملك أصولاً حضارية، ولهذا السبب لم يتمكنوا من ادارة البلاد ادارة صالحة فساءت أحوال العراق بسبب سيادة الفوضى، حكم (الكوتيون) مدة تسعين عاماً وتسلم الحكم خلال هذه المدة واحد وعشرون ملكاً، وهذا العدد الكبير من الملوك يؤكد أن كل ملك من هؤلاء الملوك لم يستمر في الحكم أكثر من أربع أو خمس سنوات، وهذا بحد ذاته يشكل اشارة صريحة إلى الفوضى وعدم الاستقرار الذي كان يعاني منه العراق في ظل حكم (الكوتيين) مما دفع بالشعب إلى الثورة، وبالفعل استطاع ملك مدينة (الوركاء) (اوتو حيكال) من القضاء على الكوتيين، ولكن

لم تتسن لهذا الملك فرصة الحكم إذ استطاع ملك مدينة (اور) المدعو (اور – نمو) أن ينتزع السلطة منه ويتزعم السومريين، ولذلك أصبح واجباً عليه أن يقوم بمحاولات إصلاحية لينقذ البلاد من الفوضى فقام بتقنين شريعته المعروفة[٢٢].

ويبدو أن شريعة (لبت – عشتار) كانت هي الأخرى قد وضعت في ظل مثل هذه الاعتبارات، ومما يزيد في تأكيد انشغال بال السلطة السياسية القائمة بالثورة هو أن أغلب هذه الشرائع كانت قد وضعت لنفسها هدفاً واضحاً هو التصدي للثورة، بالرغم من أنها كانت تمثل استجابات لها، فقد حدد (لبت – عشتار) في مقدمة شريعته الهدف من وراء تسلمه الحكم **(بمعاقبة كل عصيان مسلح)**، فضلا عن معاقبة الظلم ورد العدوان وتحقيق الرفاه للسومريين، ولهذا الغرض كان قد وضع شريعته[٢٣].

ويبدو كذلك أن العاهل (حمورابي) كان قد خبر، على المستوى العيني، أهمية الثورة عندما جعلها في خاتمة شريعته عقوبة للملوك الذين يجرؤون على اتلاف شريعته، فهو يتمنى لمثل هؤلاء الملوك:

"عسى الإله (انليل) أبو الآلهة، الذي دعاني للحكم
أن يجرد ذلك الشخص سواء كان ملكاً أو أميراً أو حاكما
أو أي إنسان يحمل لقباً، من أبهة الملك
ويحطم صولجانه ويعلن طالعه
وعسى الإله (انليل) رب المصائر
الذي أوامره لا تتبدل موسع مملكتي
أن يضرم الثورات التي لا يمكن اخمادها".

ويتمنى في مكان آخر من الخاتمة:

"عسى الآلهة عشتار، سيدة المعارك والحروب
أن تلعن مملكته بغضبها الكبير من قلبها الحانق...
عسى أن تخلق الفوضى وتسير عليه الثورات"[٢٤].

إن هذه الاشارات المختلفة للثورة تعبر بلا شك، بشكل ما أو آخر عن اهتمام الفكر السياسي النهريني القديم بها باعتبارها واقعاً فعلياً يتم خارج الارادة الالهية، ويضيف الدكتور (عبد الرضا الطعان) قائلاً:

"أن اهتمام الفكر السياسي العراقي القديم بالثورة ضد السلطة السياسية القائمة كان قد اتخذ كل أبعاده بقدر ما كان يتراوح ما بين الاستنكار لها وتأييدها، إن استنكار الفكر السياسي العراقي القديم للثورة على السلطة السياسية القائمة نستطيع أن نلتمسهُ عبر السمات السلبية التي كان توسم بها الجهة التي تقوم بالثورة، لا سيما في النذر العديدة"، فمن السهل أن نقرأ في هذه النذر على سبيل المثال : **"أن رجلاً لا يملك الحق بالعرش**

سيقتل الملك ويحكم البلاد"، او "**ابن شخص ما سيطرد الملك ويأخذ السلطة**" وتعبير (ابن رجل لا يملك الحق بالعرش) وتعبير (شخص ما)، يتضمنان الاستهجان بقدر ما يشيران إلى التجاوز والوضاعة[٢٥].

خلاصة ما سبق هو أن الفكر السياسي النهريني القديم لم يسقط مفهومي الثورة والتمرد من اهتمامه، وإنما على العكس من هذا كان قد عني بها، سواء بقصد تبريز خصائصها السلبية أو بقصد تبريز خصائصها الايجابية ولكن هذا الاهتمام بأبعاده هذه بقي في إطار الخصائص الخاصة التي تميزت بها الثورة في هذا الفكر.

ثالثاً: أهم الثورات والتمردات ضد السلطة الحاكمة في تاريخ بلاد النهرين

شهدت بلاد النهرين عشرات حالات التمرد والعصيان المسجلة في النصوص المسمارية على مدى ثلاثة آلف عام، من السومرية حتى البابلية المتأخرة، ويجب الاشارة انه ليس من السهل دراسة حركات التحرير في عصر فجر السلالات السومرية وتقديم صورة واضحة عن أحداثه، لأنه يمثل فترة مبكرة من تاريخ بلاد النهرين، ويعود ذلك إلى أن تدوين تفاصيل الأحداث عبر الكتابة كان لا يزال في مراحله الأولى، ولم تكن استخداماته شائعة بما يكفي لتوثيق الأحداث العسكرية والسياسية، علاوة على ذلك، كانت الكتابة في بداية هذا العصر تقتصر بشكل عام على تسجيل النصوص الاقتصادية والدينية، ومع ذلك، توجد بعض الإشارات في نصوص تاريخية من العصور المتأخرة من الألف الثالث قبل الميلاد، يمكن أن تُستنتج منها وقوع أحداث عسكرية خلال تلك الفترة[٢٦]، أن المصدر الرئيس الذي يمكن الاستفادة منه لفهم بعض ملامح الأحداث السياسية والسلالات الحاكمة في عصر فجر السلالات هو هذه جداول الملوك السومريين فهي تسلط الضوء على أسماء المدن والحكام الذين تولوا الحكم فيها منذ العصور القديمة، إذ تتضمن هذه الجداول ذكر أسماء المدن التي شهدت نشوء الملكية، بالإضافة إلى الحكام الذين حكموا كل مدينة ومدة حكم كل منهم، [٢٧].

١- ثورة اوروانميكينا:

حدثت العديد من الثورات في بلاد النهرين سواء على الصعيد الداخلي او الخارجي، ونجد ان هذه الثورات هي ضد نظام الحكم الذي كان يصادر حقوق الشعب والقسم الاخر كان بمثابة رد على الهجمات التي جاءت من خارج حدود البلاد، وإذا اردنا الغوص عميقاً في هذا الموضوع فأننا نجد ان ثورة الملك اوروانميكينا (اوركاجينا) الذي حكم من عام (٢٣٦٥-٢٣٥٧ ق.م)، هي اول شرارة للثورة السلمية ضد الفساد الذي ساد في البلاد، إذ لم تكن مطالبة الشعب بحقوقهم الا مثالاً واضحاً عن الثورة والتمرد ولان الثورة كانت تبدواً امراً مسلماً به بلاد النهرين بقدر ما مثلت واقعاً شغل بال السلطة السياسية القائمة آنذاك[٢٨]، وان اغلبية الملوك الذي لجاؤا إلى وضع الشرائع شاؤا ان يجعلوا منها استجابات للثورة، ويتأكد ذلك إذا علمنا ان اغلب الشرائع كانت توضع في أعقاب ثورات متنوعة، وتندرج اصلاحات اوروانميكينا ضمن الشرائع التي كانت تمثل استجابات لمطالبدالثوّار، فهي تمثل بلا شك وثيقة قانونية تتضمن أوامر لإلغاء قوانين مجحفة بحق الشعب كانت قائمة قبلاً، والاصلاحات الجديدة لم توضع إلا استجابة للثورة التي قادها ضد الملك لوكال بندا[٢٩].

لا شك أن شعوب بلاد النهرين القديمة عُرفت بإصرارها على المطالبة بحقوقها السياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ فجر التاريخ، دون أن تهاب العواقب، ففي زمن حكم لوكال بندا، ملك مدينة لكش، كان الوضع السياسي والاجتماعي مترديًا للغاية، مما مهّد الطريق لحدوث تغيير كبير على يد "اوروانميكينا"، الذي قاد حركة إصلاحية تلبيةً لمطالب السكان في نيل الحرية وتحقيق العدالة، وقد تجلّت هذه المطالب بوضوح في خاتمة إصلاحات اوروانميكينا، التي عبّرت عن روح الثورة والسعي نحو تحسين الأوضاع، إذ يقول اوروانميكينا:

هذا ما أمر به الملك اوروانميكينا، من أجل مواطني مدينة لكش الذين عاشوا حياتهم بالديون، ولكيلا يحدث التلاعب أبداً بالأوزان والمكاييل ولكي تمنع السرقة نهائياً ولكي تطهّر الأراضي ولكي يحصل مواطنو مدينة لكش على حريتهم"[٣٠].

فسّر أحد الباحثين إصلاحات اوروانميكينا بأنها ذات طابع ديمقراطي في جوهرها، وتهدف إلى تحسين أوضاع أفراد المجتمع، ولا سيما الطبقة الدنيا من الكهنة، استجابةً لمطالب سياسية ملحة آنذاك. وقد تمثلت أبرز هذه المطالب في إعادة الحقوق للمظلومين من الملاحين والرعاة، وإلغاء بعض الضرائب المجحفة المفروضة على عامة الشعب. كما سعى اوروانميكينا إلى كسب تأييد الشعب والمحاربين، ومكافحة الجرائم من خلال معاقبة اللصوص بالرجم، وتحريم زواج المرأة من رجلين في الوقت نفسه، وشملت إصلاحاته أيضًا تقليل التدخلات الخارجية، والتي كانت من بين الأسباب الرئيسية التي أدت إلى سقوط دولة لكش، إذ تعرّضت لهجوم من حاكم مدينة أومّا المجاورة، مما أدى إلى نهاية حكم اوروانميكينا[٣١]، ذلك لأن الإصلاحات التي سعى الملك اوروانميكينا لتنفيذها اصطدمت بمصالح بعض أصحاب النفوذ في الحكم السابق، بالإضافة إلى تعارضها مع مصالح عدد من الكهنة الذين كانوا يستفيدون من الضرائب الباهظة المفروضة على الشعب. وقد جاءت الضربة القاضية من مدينة أومّا المجاورة، العدوة اللدودة، حيث شنت هجومًا مباغتًا على مدينة لكش في ليلة حالكة، فنهبت المدينة، وأحرقت المعابد، وقتلت السكان، منهية بذلك حكم اوروانميكينا الذي دام سبع سنوات ونصف[٣٢].

٢- تمرد اشبي-آيرا[٣٣]:

ورث الملك أبي سين دولة تعصف بها الأزمات وتتقاذفها الأخطار من كل جانب، فقد كانت تواجه انهيارات داخلية عميقة، بينما تحيط بها التهديدات الخارجية، إذ ترقب العيلاميون من الشرق الفرصة للانقضاض على أور، فيما اجتاحت القبائل الأمورية[٣٤] من الشمال الغربي البلاد ناشرة الفوضى والدمار، وفي ظل ذلك، خيّم شبح المجاعة على الدولة مهددًا بانهيار اقتصادها، في حين انفصلت العديد من المدن عن السلطة المركزية، وانقلب بعض الحكام على ولائهم، ورغم هذه التحديات الجسيمة، تمكن أبي سين من الحفاظ على عرشه لمدة ٢٤ عامًا (٢٠٢٨-٢٠٠٤ ق.م)، لعبت فيها الأوضاع الاقتصادية المتدهورة دورًا حاسمًا في تدهور أحوال الدولة، إذ تفاقمت الأمور بعد أن سيطرت القبائل الأمورية على الأراضي الزراعية وقطعت الطرق المؤدية إلى العاصمة أور[٣٥]،

كما أدت زيادة ملوحة التربة وارتفاع منسوب الطمي في نهري دجلة والفرات إلى انخفاض إنتاج المحاصيل، خاصة الحبوب، ما تسبب في ارتفاع حاد لأسعار الغذاء داخل العاصمة.

وفي السنة الخامسة من حكم ابي سين، عادت القبائل الأمورية لتجتاح البلاد، فاقتحمت الأسوار ودمرت مدن السهل الرسوبي، مما شجّع العديد من المدن على الانفصال عن سلطة أور التي بدت عاجزة عن صد هذا الغزو[٣٦]، وأمام تفاقم التهديدات، أوكل أبي سين مهمة الدفاع عن الحدود الغربية إلى أحد قادته الأكفاء، أشبي إيرا، ومنحه صلاحيات واسعة لطرد الأموريين، لكن أشبي إيرا استغل ضعف الملك وتفكك السلطة المركزية، فسعى إلى توسيع نفوذه وبناء قاعدة دعم بين الحكام وقادة الجيش، مبيّتًا نية التمرد والاستقلال بالحكم، كما أوكل إليه أبي سين مهمة شراء كميات كبيرة من القمح لمواجهة المجاعة التي أشعلت غضب الناس، غير مدرك أن أشبي إيرا كان ينسج خيوط المؤامرة ضده، وقد كُشف جانب من هذه النوايا من خلال رسالة بعث بها أشبي إيرا إلى الملك، أوضح فيها العقبات التي تواجه نقل القمح بسبب دخول الأموريين إلى البلاد، كما أبدى استعداده لتأمين الغذاء للبلاد لفترة طويلة، مقابل منحه الإشراف على مدينتي إيسن ونفر[٣٧]، ان نص الرسالة يكشف جزءًا من خطته، حيث جاء فيها:

"إلى أبي سين، مليكي، هذا ما يقوله خادمك أشبي إيرا: لقد كلفتني بمهمة شراء القمح من إيسن وكزالو، وقد بلغ سعر الكور الواحد شيقلًا واحدًا، وقد أنفقت حتى الآن وزنة كاملة من الفضة لشراء القمح، لكن بعد أن بلغني أن الأموريين دخلوا بلادك، جلبت إلى إيسن ٧٢,٠٠٠ كور من القمح، إلا أن هؤلاء دخلوا إلى وسط البلاد واستولوا على الحصون الكبرى، ولم أعد قادرًا على نقل القمح بسببهم، إنهم أقوى مما أستطيع مواجهته. أطلب من مليكي توفير ٦٠٠ سفينة مغطاة، سعة كل منها ١٢٠ كور ليتم نقل القمح عبر النهر والقنوات، وسأتولى الإشراف على مواقع الرسو وتخزين القمح بشكل جيد، وإن احتجت، فسأوفر لك ما يكفي من القمح لقصر الملك ومدنه مدة ١٥ عامًا لا تضعف أمام العيلاميين، فقد أصبحوا أضعف الآن، ولا ترضَ بالذل، إمنحني مسؤولية إدارة إيسن ونفر"[٣٨].

يتضح من النص السابق ان أشبي إيرا استغل ضعف الملك أبي سين، فطلب تولي حكم إيسن ثم نفر، سعيًا للسيطرة على مركز الشرعية الدينية في معبد الإله إنليل، اضطر أبي سين للموافقة، أملاً في الحفاظ على ولائه وضمان وصول القمح إلى أور، دون أن يدرك نواياه الخبيثة، وبعد أن تمكن أشبي إيرا من جمع عناصر القوة من اقتصاد عبر احتكار القمح، ودين عبر السيطرة على نفر، وعسكر من خلال كسب قادة الجيش، أعلن نفسه ملكًا وجعل من إيسن عاصمة له، ثم بدأ السعي للانقضاض على عرش أبي سين[٣٩].

٣- ثورات وتمردات اخرى من تاريخ بلاد النهرين:

ان ظاهرتي الثورة والتمرد شائعتين في سجلات بلاد النهرين، اذ ترد أولى المعلومات حوله في نقوش حكام سومر وأكد من الألف الثالث قبل الميلاد؛ ففي نقش يعد واحدا من أقدم الإشارات إلى صراع عسكري في التاريخ،

يدعو إنتيمينا ملك دويلة لكش السومرية (حوالي ٢٤٣٠-٢٤٠٠ ق.م) بالشر على خصمه، متمنيا أن يقتله سكان مدينته بعد أن يتمردوا عليه[٤٠]، وقد ترسخت أصداء بعض التمردات والانتفاضات في الخيال الجمعي كما هي حال الملاحم والقصص فجرى تداولها في فترات لاحقة، على سبيل المثال، شكل التمرد على نرام –سين الأكدي (٢٢٩١-٢٢٥٥ ق.م)، المعروف بـ "التمرد الكبير"، مصدر إلهام في العصر البابلي القديم، فأعيد استنساخ النصوص المتعلقة به في مدن عديدة، مع إجراء بعض التعديلات، ليعاد توظيفها في سياق دعائي[٤١].

وكان الأكاديون قد اضطروا للخضوع لحكم السومريين في الجنوب لمدة طويلة وذلك على اثر الحملات العسكرية العديدة التي جردها الملوك السومريون ضد مدينة كيش ومنطقتها لإخضاعها ولإخماد اية حركة مناوئة يقوم بها الاكاديون ضدهم، أذ كان الاكاديون بدورهم يتطلعون لتخليص انفسهم من نير الحكم السومري، واخيرا تمكنت جماعات الأكديين من تحقيق اهدافها وانتزعت زمام القيادة من ايدي السومريين بزعامة (سرجون الاكدي) ذي الشخصية الفذة الذي حيكت حوله الاساطير البطولية، وقد تمكن هذا القائد من اخماد ثورات المدن السومرية التي قامت ضدهُ، وكذلك واجه حفيدهُ نرام سن الكثير من التحديات الداخلية تمثلت بحدوث الكثيرة من الثورات والاضطرابات التي اندلعت في بعض المدن، ويبدو ان مدينة كيش السومرية كانت زعيمة احدى هذه الثورات، الا ان نرام سن تمكن من اخمادها جميعاً.

وكذلك مثلت السنوات الاخيرة من حكم الملك السومري ابي سن من سلالة اور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)، مرحلة من الاضطرابات الداخلية تمثلت في تمرد الكثير من المدن على السلطة الحاكمة، لعل خير ما يوضح إمارات الانهيار والتفكك هذه في الجبهة الداخلية وفقدان سيطرة الملك المركزية على الأجزاء المختلفة من البلاد أن الكثير من هذه الأجزاء لم يلتزم باستعمال الحوادث الرسمية المؤرخ بها، بل استعمل كل منها حوادث خاصة بها، ويعني هذا في العرف السياسي في حضارة وادي النهرين أن تلك المراكز والمدن نبذت اعترافها بالسلطة المركزية (أي سلطة الملك وسلطة العاصمة أور)، فإذا استثنينا العامين الأولين من حكم الملك ابي – سين اللذين سار فيهما أكثر المدن على الالتزام بالتأريخ الرسمي فإن تلك المدن بدأت منذ عام حكمه الثالث تستعمل الواحدة بعد الأخرى حوادث محلية خاصة بها للتأريخ منها، وإذا رجعنا إلى نصوص الفأل والتنبؤات التي دونت في العصور التالية وجدناها تشير إلى انحلال السلطة الداخلية وتمرد السكان على طاعة السلطة المركزية، وظهور العصيان والثورات، وكان ابرز هذه التمردات تمرد حاكم مدينة ايسن اشبي ايرا (كما ذكرنا سابقاً)[٤٢].

ومن الامثلة الاخرى على الثورات والتمردات ما حدث في فترة العهد البابلي القديم (٢٠٠٦-١٥٩٥ ق.م)، أذ خلف حمورابي خمسة ملوك ورثوا عنه مملكة موحدة قوية تضم العراق وأجزاء مهمة من بلاد الشام وأعالي ما بين النهرين، وقد شغل أوائل هؤلاء الملوك بالمحافظة على هذه المملكة الواسعة، ولم تخل أعوام حكمهم من تجريد الحملات الحربية في الداخل والخارج للقضاء على محاولات الانفصال وصد الطامعين من الأقوام المجاورة الطامحة بخيرات وادي النهرين، إلى أن قضى على كيان هذه السلالة الحثيون في حدود ١٥٩٥ق.م[٤٣]، أعقب حمورابي

في الحكم ابنه المسمى سمسو ايلونا (١٧٤٩ ١٧١٢ ق. م) وكان هذا على شيء من المقدرة العسكرية، كما تدل على ذلك حملاته الحربية التي قام بها في أوائل حكمه إزاء الثائرين للانفصال عن حكمه[٤٤]، وقد كلفته إحدى الثورات جهداً جسيماً، كما ظهرت بوادر قيام دول المدن في عهده، أذ استطاع الشخص المسمى ايلوما ايلو (الذي ادعى أنه من أحفاد دامق ايليشو ملك أيسن) أن يثور ويستقل في المناطق الجنوبية من البلاد، مؤسساً بذلك ما يعرف في تاريخ بلاد النهرين باسم (سلالة القطر البحري) لمجاورتها لمناطق الخليج والأهوار الجنوبية، وذكرها جامعو أثبات السلالات البابلية باسم سلالة بابل الثانية (١٧٤٠–١٥٠٠ ق.م)، وخصصت لها تلك الأثبات أحد عشر ملكا، وتلا قيام هذه السلالة سلسلة من الحروب ما بين ملوكها وبين ملوك سلالة بابل الأولى دمرت في خلالها مدن جنوبية مهمة، وفي مقدمتها مدينة أور، وفي حدود زمن سلالة القطر البحري اغتنمت الفرصة بلاد آشور فقامت فيها سلسلة من الملوك انفصلوا عن تبعيتهم لإمبراطورية حمورابي ويرجح أن يكون أول ملك من هؤلاء الملك المسمى (أداسي) الذي ذكرته أثبات الملوك الآشورية، ووصفته أخبار الملوك الذين جاؤوا من بعده بأنه خلص بلاد آشور من العبودية[٤٥].

وفي فترة ضعف الدولة الاشورية لم تخلوا من الثورات والتمردات ضد السلطة الحاكمة، اذ انتهى حكم شيلمنصر الثالث بثورة داخلية في بلاد آشور تزعمها أحد أبنائه المسمى آشور – دان – أبلى، وانحازت إلى جانبه سبع وعشرون مدينة، من بينها مدينة آشور ونينوى وأربيل وأرابخا (كركوك)، وبالنظر إلى شيخوخة الملك عهد إلى ابنه المسمى شمسي – أدد مهمة محاربة الثوار وإخماد الثورة، وقد دامت هذه الثورة والحرب الأهلية التي نجمت عنها أربع سنوات مات الملك الشيخ في أثنائها، فاعتلى العرش الآشوري شمسي – أدد في عام ٨٢٤ ق.م، وقد سببت هذه الحرب الداخلية الضعف والوهن في المملكة الآشورية، وحلت فترة ضعف وانكماش دامت زهاء الثمانين عاماً[٤٦]، أي منذ حكم الملك شمسي – أدد إلى حكم تجلاتبليزر الثالث (٧٤٤–٧٢٧ ق.م)، وبالرغم من إخماد الثورة من جانب الشمسي – أدد فإن الحرب الأهلية الطويلة استنزفت قوى الدولة ففقدت سلطتها في الأقاليم التابعة لها، حيث اغتنم الكثير منها فرصة اضطراب الأحوال في داخل بلاد آشور فنبذت تبعيتها وولاءها للملوك الآشوريين، كما أن الأسباب التي نشبت من جرائها تلك الثورة والحرب الأهلية كانت بالدرجة الأولى متأتية من ظلم كبار الموظفين والنبلاء وحكام الأقاليم واستغلالهم السكان الأحرار ولا سيما الفلاحين والمزارعين[٤٧].

تولى الملك تجلات بليزر الثالث الحكم على أثر ثورة داخلية كما ذكرنا، فكان الاضطراب والتدهور يعمان البلاد، ولكن الملك الجديد برهن على أنه كفوء في إنقاذ البلاد من محنتها، وإلى ذلك استطاع أن يعيدها إلى سابق قوتها وكيانها باسترجاع سلطتها في كثير من الأقاليم التي كانت خاضعة لها، وقد مهد لذلك بالقيام بإصلاحات واسعة في الجيش ونظام إدارة الدولة، ولهذه الأسباب جعلنا حكم هذا الملك بداية دور جديد من العصر الآشوري الحديث هو الذي أطلقنا عليه اسم الإمبراطورية الآشورية الثانية (٧٤٤– ٦١٢ ق.م)[٤٨]، من اهم الثورات في عهد هذا الملك هي ثورة بلاد بابل على السلطة الآشورية بزعامة أحد شيوخ الآراميين المسمى اوكن – زير، مؤسس

سلالة بابل العاشرة (٧٣٢-٧٣٠ ق.م)[٤٩]، أذ أرسل تجلات بليزر حملة عليها وقضى على حكم هذه السلالة، وقرر أن يحكم بلاد بابل حكماً مباشراً فتوج نفسه ملكاً على بابل في عيد رأس السنة الجديدة (٧٢٩ ق.م) وعرف باسم بولو (Pulu)[٥٠].

ثارت بلاد بابل ضد السلطة الاشورية مرة اخرى أذ استطاع أحد زعمائها المدعو مردوخ – أبلا – ادنا (مردوخ بلادان المذكور في التوراة)، أن يستقل في مملكة بابل بتحريض العيلاميين ومساعدتهم، واعتلى العرش البابلي في العام الذي جاء فيه سرجون الثاني إلى الحكم (٧٢١ ق.م)، فصمم سرجون على ضرب هذا الثائر[٥١]، وبدأ بغزو بلاد عيلام نفسها في العام ٧٢٠ ق.م، ولكن تشير مجريات الأحداث إلى أن نتيجة المعركة التي نشبت عند مدينة دير (عند الحدود العراقية الإيرانية بالقرب من بلدة بدرة) لم تكن في صالح سرجون رغم ادعاء المصادر الآشورية خلاف ذلك، وكذلك التناقض ما بين الرواية البابلية الواردة في كتابة مردوخ بلادان وبين الرواية الآشورية، وقد عثر على نص مردوخ بلادان في أثناء التنقيبات الحديثة في نمرود (كالح) كشفت عن تناقضات تاريخية مثيرة للاهتمام، خاصة فيما يتعلق بـ "نص مردوخ بلادان"؛ أذ تم العثور عليه في نمرود، مما يشير إلى أن الملك الآشوري سرجون الثاني قام بتزوير تاريخي متعمد عبر نقله من مدينة الوركاء وتغييره ليخدم مصالحه السياسية، وهو ما يتناقض مع الرواية البابلية ويؤكد النص حكم مردوخ بلادان لبابل لمدة أحد عشر عاماً (٧٢١-٧١١ ق.م)، وهو ما تثبته المصادر البابلية، وتؤكد أن الآشوريين حاولوا تزييف الحقائق لصالحهم[٥٢].

وخلف سرجون الثاني ابنهُ سنحاريب الذي اظهر قسوة بالغة تجاه مدينة بابل المتمردة، فعاجلها سنحاريب في العام ٧٠٣ ق.م وقضى على جموع مردوخ بلادان الذي استطاع الإفلات من الأسر، ونصب سنحاريب على بابل أحد أتباعه من البابليين المسمى بيل – ابني الذي نشأ وتربى في نينوى، على أن مردوخ بلادان ظهر مرة أخرى من بعد ثلاث سنوات، ولكنه أخفق في مسعاه، وبعد ستة أعوام على هذه الأحداث صمم سنحاريب على غزو المدن العيلامية في سواحل الخليج، فجهز لهذا الغرض حملة بحرية وبرية ضخمة في عام ٦٩٦ ق.م وطهر الأجزاء الجنوبية من الثوار من أنصار الثائر مردوخ بلادان[٥٣]، ولكن هذه الضربة لم تمنع تجدد الأطماع العيلامية ببلاد بابل، إذ إنها استمرت من بعد ذلك في تحريضها على العصيان، فثار البابليون في عام ٦٨٩ ق.م، وعندئذ صب سنحاريب جام غضبه على بلاد بابل فدمر المدينة المقدسة ودك حصونها وقصورها وسلط ماء الفرات على أنقاضها وأقسم أن بابل لن تقوم لها قائمة طوال ٧٠ عاماً، ولما ترك بلاد بابل عين ابنه أسرحدون والياً عليها بالنيابة عنهُ[٥٤].

قام اسرحدون قبل وفاتهُ بتقسيم الامبراطورية بين ولديه، اذ كان عرش الامبراطورية الاشورية من نصيب ابنهُ اشور بانيبال، وفي الوقت نفسه تولى ابنهُ الاكبر شمش-شم-اوكن عرش بابل، واستقامت الامور ما بين الاخوين طوال سبعة عشر عاماً[٥٥]، حتى نشبت في بابل ثورة عارمة قام بها اخو الملك نفسهُ، اي شمش-شم-اوكن، ونشبت الحرب الطاحنة بين الاخوين التي دامت زهاء ثلاثة اعوام، انتهت بانتصار اشور بانيبال الذي عمل

بعدها على تهدئة بلاد بابل وعين احد زعمائها الكلدانيين المسمى قندلانو نائباً للملك على عرش بابل (٦٤٧-٦٢٧ ق.م)[٥٦].

ويشاء التاريخ ان تكون بلاد بابل هي المساهمة الرئيسة بالقضاء على الامبراطورية الاشورية بقيادة نبوبلاصر الذي تزعم الثورة ضد السلطة الاشورية، بتحالف عدة قوى في مقدمتها الماذيون (في جهات إيران الشمالية الغربية)، وهو أحد حكام الأجزاء الجنوبية (القطر البحري) الذي يرجع في أصله إلى إحدى القبائل الآرامية في العراق هي القبيلة المسماة كلدو، فثار هذا الزعيم الكلداني في عام ٦٢٧ ق.م، وأعلن ملوكيتهُ عام ٦٢٦ ق.م، بعد ان كان حاكماً تابعاً للدولة الآشورية، وبعد أن قضى على الحاميات الآشورية في بلاد بابل وجه هجماته على بلاد آشور نفسها، فاستطاع مع حلفائه الماذيين في عهد ملكهم المسمى كي- اخسار القضاء على الدولة الآشورية، وقد سقطت العاصمة نينوى في العام ٦١٢ ق.م، ثم طوردت فلول الآشوريين إلى منطقة حران، وتم القضاء على البقية الباقية من الجيوش الآشورية في عام ٦١٠ أو ٦٠٩ ق.م[٥٧].

الاستنتاجات

١. لم تكن الثورة مجرد نزاع عسكري، بل كانت في غالبها نتيجة لتفاقم الظلم الاجتماعي والاقتصادي أو بسبب استبداد السلطة المركزية، اذ تشير النصوص إلى أن سوء إدارة الحكام أو تجاوزاتهم في فرض الضرائب أو الاستعباد كانت من أبرز دوافع الثورات.
٢. ان الثورة على الحاكم كان يُعد جريمة دينية وسياسية في آن واحد لأن الحاكم كان يُعتبر ممثلًا للآلهة، فإن الخروج عليه لم يكن فقط تحديًا سياسيًا، بل اعتُبر خرقًا للقانون الإلهي.
٣. التمرد لم يكن ظاهرة نادرة بل تكررت في أكثر من فترة، اذ حدثت تمردات في العصر السومري ضد حكام المدن السومرية، وفي العصر الأكدي ضد نرام سين، وكذلك خلال العصور البابلية والآشورية، مما يشير إلى أن العلاقة بين السلطة والشعب كانت مضطربة وغير مستقرة في فترات كثيرة من تاريخ بلاد النهرين.
٤. غياب المفهوم الحديث للثورة، اذ لم تكن هناك ثورات تهدف إلى تغيير النظام السياسي برمته كما في المفهوم الحديث للثورة، بل كانت غالبًا تركز على إسقاط ملك معين أو الحصول على استقلال مدينة معينة من سلطة مركزية.
٥. وجود تبرير شعبي للثورات في بعض نصوص الأساطير والنقوش كانت تُصور الثورات بشكل إيجابي، بوصفها حركة إصلاح ضد ظلم الملك، مما يُظهر نوعًا من التعاطف الشعبي أو التبرير الأدبي للتمرد.
٦. استخدام السلطة للإرهاب النفسي والسياسي، كانت السلطات توظف أدوات الدعاية والترهيب مثل النقوش والكتابات التي تُخلّد "انتقام الآلهة" من المتمردين لتثبيت الهيبة والسيطرة على الوعي الجمعي.

٧. الثورة كمؤشر على النضج السياسي والمجتمعي، رغم قمعها في كثير من الأحيان، إلا أن وجود الثورات يُعد دليلًا على إدراك الأفراد والمجتمعات لحقوقهم وظلم حكامهم، ما يُظهر تطورًا سياسيًا في وعي سكان بلاد النهرين.

المصادر

١. ابراهيم محمد محمد صادق عامر، التأصيل العملي لطبيعة الثورة وأنواعها، مجلة البحوث المالية والتجارية، جامعة بورسعيد، ٢٠١٨.
٢. أبي الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤.
٣. احمد بشار جمعة، فكرة الصراع في الاساطير والملاحم العراقية القديمة (٣٠٠٠-٢٠٠٠ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١١.
٤. احمد زيدان الحديدي، الصراع الاشوري مع القبائل الكلدانية على السلطة في بابل، مجلة آداب النهرين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد (٥٠)، ٢٠٠٨.
٥. اميرة فطايمية، اناس بوفاس، ايمان مرارشة، الفلسفة البراغماتية عند جون ديوي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ماي قالمة، ٢٠٢٢.
٦. جان بوتيرو، وآخرون، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة: عامر سليمان، دار الكتب، الموصل، ١٩٨٦.
٧. جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين، مراجعة: فاضل عبد الواحد علي، بغداد، ١٩٨٤.
٨. حامد خيري الحيدر، فلسفة الثورة في الفكر العراقي القديم (القسم الاول)، دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات، ٢٠١٥، https://m.ahewar.org/s.asp?aid=487752&r=0.
٩. رشا ثامر مزهر، التطورات السياسية للدولة الاشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بابل، ص ٢٠٠٥.
١٠. س. ن. كريمير، هنا بدأ التاريخ (حول الاصالة في حضارة وادي النهرين)، ترجمة: ناجية المراني، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٠.
١١. سامي سعيد الاحمد، بلاد بابل تحت الحكم الاشوري (من صعود اشور بانيبال حتى وفاة شماش شوموكين)، مجلة سومر، عدد خاص، بغداد، ١٩٨٧.
١٢. سعدون عبد الهادي برغش، التوظيف السياسي للفكر الديني في العراق القديم (٣٠٠٠-٥٣٩ ق.م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٠.
١٣. صموئيل كريمر، السومريون، ترجمة: فيصل الوائلي، الكويت، ١٩٧٣.

١٤. صموئيل هنتنغتون، النظام السياسي في مجتمعات متغيرة، تحقيق: فرانسيس فوكوياما، ترجمة: حسام نايل، دار التنوير، بيروت، ٢٠١٧.
١٥. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق، بيروت، ٢٠١٢.
١٦. طه باقر، ملحمة كلكامش، اعداد موقع اولف، https://www.A-Olaf.com.
١٧. عامر سليمان، العراق في التاريخ السياسي، دار ابن الاثير، الموصل، ٢٠١٠
١٨. عامر سليمان، بلاد عيلام وعلاقتها بالعراق القديم، مجلة آداب النهرين، العدد (١٤)، الموصل، ١٩٨١.
١٩. عباس ابراهيم صابر واخرون، الثورة في بلاد النهرين، مجلة التربية للعلوم الإنسانية، العدد (٢) عدد خاص، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الموصل، ٢٠٢٢.
٢٠. عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١.
٢١. عبد القادر عبد الجبار الشيخلي، الوجيز في تاريخ العراق القديم، ط٢، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٨.
٢٢. عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠.
٢٣. عشتار سمير ظاهر، دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من عصر أور الثالثة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٧.
٢٤. فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٣.
٢٥. قيس حاتم هاني الجنابي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار صفاء، عمان، ٢٠١٢.
٢٦. محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دائرة المعاجم، لبنان، ١٩٩٥.
٢٧. محمد فهد حسين، مظاهر الصراع في ملحمة جلجامش وأثرها في فهم مجتمع العراق القديم، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي العاشر، ٢٠١٧.
٢٨. مروة تهامي، المشاركة السياسية للمرأة في ثورتي مصر وليبيا ٢٠١١، دراسة انثروبولوجية ميدانية مقارنة، جامعة القاهرة، ٢٠١٣.
٢٩. معاذ حبش خضر، قراءة في الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية خلال عهد اورو-كاجينا، مجلة آداب النهرين، العدد (٢٢)، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠١٩.
٣٠. هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩.
٣١. هنري فرانكفورت، فجر الحضارة، ترجمة: ميخائيل خوري، بيروت، ١٩٥٩.
٣٢. وليد محمد صالح فرحان، العلاقات السياسية للدولة الاشورية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٦.

33. Brinkman, J.A, A Political History of Post-Kassite Babylonia 1158-722 B.C., (Roma, 1968), P61. also see Saggs H.W, The Assyrians, Peoples of Old Testament Times, ed by Wiseman. D.J. (Oxford, 1973).
34. Gelb.I.J," The Early History of the West Semitic People", JCS, Vol. XV, (New Haven, 1961).
35. Joan Goodnick Westenholz, Legends of the Kings of Akkade: The Texzy, Mesopotamian Civilizations 7(Winona Lake. Ind. Eisenbrauns, 1997), pp. 221-261, Steve Tinney, "A New Look at Naram-Sin and the Great Rebellion" Journal of Cuneiform Studies, vol. 74 (1995).
36. Seth Richardson, "Insurgency and Terror in Mesopotamia," in: Timothy Howe & Lee I Brice (eds.). Brill's Companion to Insurgency and Terrorism in the Ancient Mediterranean, Brill's Companions to Classical Studies: Warfare in the Ancient Mediterranean World 1 (Leiden. Brill, 2015).
37. T. Gomi, On Critical Economic Situation at Ur Early in the Region of Ibbi Su-en , JCS, № 36, 1984.

الهوامش

(١) ابراهيم محمد محمد صادق عامر، التأصيل العملي لطبيعة الثورة وأنواعها، مجلة البحوث المالية والتجارية، جامعة بورسعيد، ٢٠١٨، ص٢٥٤.

(٢) عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٣٤.

(٣) محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دائرة المعاجم، لبنان، ١٩٩٥، ص ٣٨.

(٤) مروة تهامي، المشاركة السياسية للمرأة في ثورتي مصر وليبيا ٢٠١١، دراسة انثروبولوجية ميدانية مقارنة، جامعة القاهرة، ٢٠١٣، ص ٣٠.

(٥) أبي الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤، مج ٣، ص ٤١٧.

(٦) صموئيل هنتنغتون، النظام السياسي في مجتمعات متغيرة، تق: فرانسيس فوكوياما، ترجمة: حسام نايل، دار التنوير، بيروت، ٢٠١٧، ص ٣٣٣.

(٧) حامد خيري الحيدر، فلسفة الثورة في الفكر العراقي القديم (القسم الاول)، دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات، ٢٠١٥، https://m.ahewar.org/s.asp?aid=487752&r=0.

(٨) مذهب فلسفي يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة أي الفكرة التي تحققها التجربة، فكل ما يتحقق بالفعل حق ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية، فالمبدأ الأساسي والصحيح الذي ترتكز عليه البراغماتية في إثبات صحة وصدق فكرة هو ما تؤدي إليه من نتائج عملية تكون ناجحة في الحياة والأخذ بها من أجل بناء أفكار جديدة، وهذا هو العامل المشترك بين الفلاسفة والبراغماتيين. للمزيد ينظر: اميرة فطايمية، اناس بوفاس، ايمان مرارشة، الفلسفة البراغماتية عند جون ديوي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ماي قالمة، ٢٠٢٢، ص ص٨-٩.

(٩) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١، ص ص٥٥٤-٥٥٥.

(١٠) سعدون عبد الهادي برغش، التوظيف السياسي للفكر الديني في العراق القديم (٣٠٠٠-٥٣٩ ق.م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٠، ص ٢٠٧.

(١١) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، ص٥٧٥.

(١٢) سعدون عبد الهادي برغش، التوظيف السياسي للفكر الديني، ص ٢٠٩.

(١٣) احمد بشار جمعة، فكرة الصراع في الاساطير والملاحم العراقية القديمة (٣٠٠٠-٢٠٠٠ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١١، ص ص٣٤-٣٥.

(١٤) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، ص ٦٠٢.

(١٥) محمد فهد حسين، مظاهر الصراع في ملحمة جلجامش وأثرها في فهم مجتمع العراق القديم، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي العاشر، ٢٠١٧، ص ٢٩٩.

(١٦) طه باقر، ملحمة كلكامش، اعداد موقع اولف، ص ٣٩. https://www.A-Olaf.com

(١٧) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، ص ٦٠٥.

(١٨) معاذ حبش خضر، قراءة في الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية خلال عهد اورو-كاجينا، مجلة آداب النهرين، العدد (٢٢)، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠١٩، ص ٦٤٥.

(١٩) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، ص ٥٩٩.

(٢٠) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، ص ص٥٧٦-٥٧٧.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٥٧٧.

(٢٢) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٣، ص ٢٢.

(٢٣) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، ص ص٥٧٦-٥٧٧.

(٢٤) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ص ص١٤٠-١٤١.

(٢٥) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، ص ص٥٩٧-٥٩٨.

(٢٦) عامر سليمان، العراق في التاريخ السياسي، دار ابن الاثير، الموصل، ٢٠١٠، ص١٣٩.

(٢٧) عامر سليمان، بلاد عيلام وعلاقتها بالعراق القديم، مجلة آداب النهرين، العدد (١٤)، الموصل، ١٩٨١، ص ١٧٢.

(٢٨) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، ص٥٧٨.

(٢٩) عباس ابراهيم صابر واخرون، الثورة في بلاد النهرين، مجلة التربية للعلوم الإنسانية، العدد (٢) عدد خاص، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الموصل، ٢٠٢٢، مج ٢، ص١٤٥.

(٣٠) المصدر نفسه، ص١٤٦.

(٣١) هنري فرانكفورت، فجر الحضارة، ترجمة: ميخائيل خوري، بيروت، ١٩٥٩، ص٨٩.

(٣٢) س. ن. كريمير، هنا بدأ التاريخ (حول الاصالة في حضارة وادي النهرين)، ترجمة: ناجية المراني، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٠، ص ص٣٤-٣٧.

(٣٣) هو من أصل أموري من مدينة ماري (تل الحريري) الواقعة في منطقة وسط الفرات وكان الرجل مسؤولاً عن الفرقة العسكرية في عهد الملك أبي سين آخر ملوك سلالة اور الثالثة، وقد أصبح منافساً خطيراً له ومساهماً في إسقاط دولته. للمزيد ينظر: جان بوتيرو، وآخرون، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة: عامر سليمان، دار الكتب، الموصل، ١٩٨٦، ص ١٥٧.

(٣٤) من أقوام الجزيرة العربية استوطنوا الضفة اليمنى لنهر دجلة جنوب مدينة الرقة السورية، وعرف موطنهم باسم جبال بسال أو بسار جبال بشرى الحالية الواقعة غربي نهر الفرات ما بين تدمر ودير الزو، وقد عرفتهم المصادر المسمارية باسم مارتو، وجاء ذكرهم في عهد الملك الأكدي شاركالي شري (٢٢٥٤-٢٢٣٠ ق.م) الذي قاتلهم عند الجبال المذكورة واندفعت موجة كبيرة منهم باتجاه بلاد النهرين في أواخر عهد سلالة اور الثالثة التي حكمت ما بين (٢١١٢- ٢٠٠٤ ق.م) مسهمين في إسقاط تلك السلالة. للمزيد ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ القديمة، دار الوراق، بيروت، ٢٠١٢، ج ١، ص ٣٧٠؛
Gelb.I.J," The Early History of the West Semitic People", JCS, Vol. XV, (New Haven, 1961), p.27-74.

(٣٥) T. Gomi, On Critical Economic Situation at Ur Early in the Region of Ibbi Su-en , JCS, № 36, 1984. P.210.

(٣٦) صموئيل كريمر، السومريون، ترجمة: فيصل الوائلي، الكويت، ١٩٧٣، ص٤٨٠.

(٣٧) عشتار سمير ظاهر، دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من عصر أور الثالثة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص ٢٠.

(٣٨) T. Gomi, "On Critical Economic Situation, p. 211.

(٣٩) صموئيل كريمر، السومريون، ص٤٨١.

(٤٠) Seth Richardson, "Insurgency and Terror in Mesopotamia," in: Timothy Howe & Lee I Brice (eds.). Brill's Companion to Insurgency and Terrorism in the Ancient Mediterranean, Brill's Companions to Classical Studies: Warfare in the Ancient Mediterranean World 1 (Leiden. Brill, 2015), p. 33.

(٤١) Joan Goodnick Westenholz, Legends of the Kings of Akkade: The Texzy, Mesopotamian Civilizations 7(Winona Lake. Ind. Eisenbrauns, 1997), pp. 221-261, Steve Tinney, "A New Look at Naram-Sin and the Great Rebellion" Journal of Cuneiform Studies, vol. 74 (1995).

(٤٢) حيدر عقيل عبد نصوص اقتصادية غير منشورة من عهد الملك اب سين (٢٠٠٤-٢٠٢٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص ١٧٤.

(٤٣) جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين، مراجعة: فاضل عبد الواحد علي، بغداد، ١٩٨٤، ص٧٨.

(٤٤) قيس حاتم هاني الجنابي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار صفاء، عمان، ٢٠١٢، ص ١٣٩.

(٤٥) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ص ٤٧٥.

(٤٦) عبد القادر عبد الجبار الشيخلي، الوجيز في تاريخ العراق القديم، ط٢، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٨، ص ١٩١.

(٤٧) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ص ٥٥٥.

(٤٨) رشا ثامر مزهر، التطورات السياسية للدولة الاشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٥، ص ٥٢.

(٤٩) وليد محمد صالح فرحان، العلاقات السياسية للدولة الاشورية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٦، ص ٩٢.

(٥٠) Brinkman, J.A, A Political History of Post-Kassite Babylobia 1158-722 B.C., (Roma, 1968), P. 61. also see Saggs H.W, The Assyrians, Peoples of Old Testament Times, ed by Wiseman.D.J. (Oxford, 1973), P.160.

(٥١) احمد زيدان الحديدي، الصراع الاشوري مع القبائل الكلدانية على السلطة في بابل، مجلة آداب النهرين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد (٥٠)، ٢٠٠٨، ص ٣١.

(٥٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ص ص٥٦٤-٥٦٥.

(٥٣) احمد زيدان الحديدي، الصراع الاشوري مع القبائل الكلدانية، ص٣٤.

(٥٤) هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص ١٥٢.

(٥٥) سامي سعيد الاحمد، بلاد بابل تحت الحكم الاشوري (من صعود اشور بانيبال حتى وفاة شماش شوموكين)، مجلة سومر، عدد خاص، بغداد، ١٩٨٧ص ٥٦.

(٥٦) جورج رو، العراق القديم، ص ٤٤٢.

(٥٧) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ص ٦٠٢.